**المذهب الواقعي**

شهدت أوربا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر إتجاهات ودعوات فكرية وأدبية تعبر عن إستيائها مما آل إليه وضع الأدب والفكر في ظل تيارات الرومانسية التي أغرقت الأدب بالأوهام والخيال والرؤى العاطفية ، مما خلق فجوة كبيرة بين الأدب والواقع ، من أجل هذا أخذ فلاسفة وفنانون و أدباء ينادون بعودة الأدب الى الواقع وتصويره تصويراً دقيقاً بعيداً عن الخيال والرؤى المثالية.

نستنتج مما تقدم أن **العامل الاول** في نشأة الواقعية هو مغالاة الرومانسية و تطرفها في الهروب من الواقع والانشغال بالأحلام والجري وراء الخيال .

**العامل الثاني** فهو التقدم الكبير الذي حققته العلوم في هذا الوقت نتيجة لتطبيق المنهج التجريبي في ميدان العلوم الذي حقق نتائج وأكتشافات علمية خطيرة في زمن قصير.

دعت **الواقعية** الى أن يكون الفن والادب مطابقين للطبيعة يصورانها كما هي وأن يعبرا عن الاشياء كما تبدو في الملاحظة أو التجربة ، حتى يصلا الى حقائق الاشياء.

يعد الروائي الفرنسي **شنفلوري** أول من أستخدم مصطلح الواقعية وقد رفض جميع أشكال الأدب الخيالي.

مميزات الأدب الواقعي

تميز الأدب الواقعي بما يأتي : ــــ

1. أعتمد الادب الواقعي على التصوير الواقعي للأشياء بدلاً من التصوير الخيالي القائم على الوهم أو الحلم أو العاطفة.
2. الادب الواقعي أدب موضوعي ، يصور الاشياء كما هي دون تدخل الكاتب فيما يصور ، يعني دون أتحاد الكاتب ذاته أو معتقداته أو عواطفه فيما يصور ويكتب.
3. يستمد الادب الواقعي موضوعاته وشخصياته من حياة الطبقتين الوسطى والدنيا وليس من الطبقة الارستقراطية ، فيصور قضايا جديدة ذات طابع شعبي و أمثلة إنسانية عادية.
4. يتسم الادب الواقعي باليأس والنظرة السوداوية الى الانسان والحياة ، إذ يبدو الانسان كأنه تحركه نوازع الشر والعدوان . والظروف التي أسفرت عن هذه السمة في الادب الواقعي تكونت نتيجة لظهور الرأسمالية وتفشي النظرة النفعية في الاوساط الاجتماعية ، مما جعل الانسان لا يعرف غير المصالح الفردية الضيقة والجري وراء المال ، بعيداً عن الفضائل والمثل الاخلاقية ، فالواقع الذي يصوره هذا الادب واقع قاسٍ وقبيح يؤمن بقانون تنازع البقاء وبقاء الاقوى ، فيه الانسان يمارس الاستغلال والجشع وتحركه النفعية.

سميت **الواقعية الاولى** التي عرفتها فرنسا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر **بالواقعية النقدية** وذلك لأنها قامت أساساً على نقد الواقع وتشخيص عيوبه ورفضه. ومن أشهر أعلامها **بلزاك** و**فلوبير** ، أما **بلزاك** فيلقب **بأبي الواقعية النقدية** في فرنسا ، وقد أستطاع في (الملهاة البشرية) أن يستوعب وصف الحياة الفرنسية في مختلف أوضاعها ووصف حياة مختلف الفئات والجماعات بصورة حية وصادقة ، لا يمكن أن ينساها القارئ أبداً .

أما **فلوبير** فقد عرف مثل بلزاك بالدقة والموضوعية في تصوير الواقع ولا سيما في روايته **مدام** **بوفاري** التي جاءت صورة دقيقة عن الحياة الريفية الفرنسية في منتصف القرن التاسع عشر ، وحياة الطبقة الوسطى فيها.

تميزت **الواقعية النقدية** بأتخاذها الواقع الموضوعي مصدراً لها ، بدلاً من الاحلام ، واستبدلت دقة التعبير واتقان التصوير بالغموض والتهويل والابهام ، ، واثرت الصدق على التمويه والتضليل ، واستمسكت بالصرامة العلمية في الكشف عن الحقيقية ، واهتمت بالمجتمع اكثر من اهتمامها بالإنسان وعنيت بالمشكلات الاجتماعية اكثر مما عنيت بالعواطف الذاتية.

وفي القرن العشرين ظهرت مدرسة واقعية جديدة تختلف عن الواقعية النقدية تلك هي **الواقعية** **الاشتراكية** التي عرفت في الاتحاد السوفيتي ، وترتبط نشأة هذه المدرسة بتأسيس الاتحاد العام للكتاب السوفيت ولعل **مكسيم غوركي** هو اول من استخدم هذا الاصطلاح وقد فرق بين الواقعية النقدية والواقعية الاشتراكية حيث قال عن **الواقعية الاولى** انها صورت الفرد ضد الجماعة والدولة والطبيعة ، وكان السبب الاول لمعارضة الفرد للمجتمع البرجوازي هو رغبته في حشد انطباعات سلبية مناقضة لأفكاره الطبقية واسلوبه في الحياة، وقد شعر الفرد شعوراً حاداً بأن الانطباعات كانت تؤخر نموه وتسحقه ، ولكنه كان قليل الادراك لمسؤوليته هو نفسه كما في اسس المجتمع البورجوازي من سوقية الى حين ان **الواقعية الاشتراكية** تعلن ان الحياة هي النشاط والخلق اللذان يرميان الى تنمية اعظم القدرات الفردية قيمة لدى الانسان من اجل انتصاره على قوى الطبيعة وحفظ صحته وإطالة عمره من أجل سعادته العظيمة في العيش على الارض التي يرغب مع النمو المستمر لإحتياجاته.

عرفت فرنسا في اواخر القرن التاسع عشر مدرسة جديدة كانت إمتداداً وتطويراً للواقعية النقدية وطرحت طريقة علمية لتنفيذ مناهجها وهي **الطبيعية** ، فالطبيعية تكمل الواقعية ، تؤكدها وتزيد فيها وبعبارة اخرى تبدو الطبيعية أكثر موضوعية وعلمية من الواقعية ، إذ أنها تأثرت بنظريات وحقائق علوم الحياة والطب وعلم النفس وطبقتها في ميادين الادب والفن.

يعد الاخوان **جونكور** ، **أدمون** و **جول** مبتكري المذهب الطبيعي في الادب الفرنسي ، في قصص أرخا فيها على نحو مسهب وصادق لحقبة مهمة من تاريخ فرنسا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر.

لكن **أميل زولا** أصبح رائداً لهذا المذهب في كتاباته النظرية التي أوضح فيها أسس المذهب ، قرأ **زولا** وتأثر بالنظريات العلمية التي شاعت في عصره ولا سيما ما ورد في بحث في الوراثة الطبيعية لــ **لوكاس** و أصول الاجناس لـ **دارون** و المدخل الى الطب التجريبي لــ **كلود برنار** حتى أصبح يرى أن الانسان مسير في الحياة، فلا إختيار له ، وأهم ما يسيره الوراثة والبيئة.

أن ما يميز **المذهب الطبيعي** هو ذلك الايمان الراسخ والواضح في العلم ، في طرق الملاحظة والتجريب والتوثيق ، والطبيعية ليست سوى تركيبة العلم الحديث مطبقة على الادب.

ولعل أهم ما يمثل النزعة الطبيعية عند **زولا** سلسلة رواياته التي أصدرها طيلة ثلاثين عاماً وسماها **روغون ماكار** ، صور فيها تصويراً دقيقاً وصريحاً حياة أسرة فرنسية عادية ينتمي أفرادها الى عدة أجيال ، تحركهم الغرائز وعوامل الوراثة .فتصدر منهم رذائل وأنحرافات مختلفة ، تعطي صورة سوداء قاتمة عن الانسان .